الإلحاد واللادينية في العصر الحديث

"الأسباب والآثار"

Atheism and irreligion in the modern age

Causes and Effects"

م.د. علي عبدالباسط عبدالكريم الدغمان*

Dr. Ali Abdulbasit Abdulkarim Al-Daghman

ALI.abdalb٨٦@gmail.com

https://orcid.org/٠٠٠٩-٠٠٠١-٣٤٠٣-٣٠٤١

المستخلص

شهد هذا البحث تحليلًا للأسباب التي أسهمت في تنامي ظاهرتي الإلحاد واللادينية في العصر الحديث، ابتداءً من التحولات العلمية والفلسفية، ومرورًا بالتغيرات الاجتماعية والسياسية التي أعادت تشكيل أنماط التفكير والسلوك في المجتمعات المعاصرة, كما تناول البحث بالتحليل الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على هذه الظاهرة، ولا سيما في السياق الإسلامي، مع بيان انعكاساتها على مستوى الفرد والبنية المجتمعية, وتشير النتائج إلى أن الإلحاد واللادينية يمثلان تحديًا فكريًا واجتماعيًا مركبًا في العالم المعاصر، الأمر الذي يقتضي مقاربتهما ضمن إطار تحليلي يأخذ في الحسبان التحولات الثقافية والعلمية المتسارعة، ويستند إلى قراءة موضوعية للسياقات التاريخية والمعرفية التي أفرزتهما.

* كلية الامام الأعظم الجامعة

Imam Al-Azam University College

الكلمات المفتاحية: الإلحاد, العصر الحديث, الدين, الغزو.

Abstract

This study examines the factors that have contributed to the growth of atheism and irreligiosity in the modern era, beginning with scientific and philosophical transformations and extending to the social and political changes that have reshaped patterns of thought and behavior in contemporary societies. It further analyzes the psychological and social implications of this phenomenon, particularly within the Islamic context, highlighting its repercussions at both the individual and societal levels,The findings indicate that atheism and irreligiosity constitute a complex intellectual and social challenge in the contemporary world. Accordingly, their examination requires an analytical framework that takes into account ongoing cultural and scientific transformations and is grounded in an objective reading of the historical and epistemological contexts from which they have emerged.

Keywords: Atheism, Modern Era, Religion, Intellectual Invasion.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أيُنا أحسن عملاً وجعل الدنيا دار زرع وابتلاء، وجعل الآخرة دار القرار والجزاء ، وأرسل رسله بالهدى والدين الحق لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبيه المصطفى محمد الذي بعثه رحمة للعالمين وإماماً للأولين والآخرين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر المحجلين وعلى من تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

فالإلحاد سمة من سمات العصر وقد غزت موجاته ديار المسلمين وتنادى البعض بالشيوعية كما تنادت طوائف الدهرية قديمًا: إن هي إلاّ أرحام تدفع وأرض تبلع, ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) [١].

(١) سورة الجاثية: الاية ٢٤.

ويأتي مفهوم اللادينية كمصطلح يُستخدم للدلالة على موقف فكري أو اجتماعي يقوم على عدم الانتماء إلى دينٍ مُعيَّن، أو عدم الالتزام بمعتقدات وشعائر دينية محددة، دون أن يستلزم بالضرورة إنكار وجود الله, ويُميَّز في الدراسات الفكرية بين اللادينية والإلحاد, فالإلحاد يتضمن نفي وجود الإله صراحةً، بينما تشير اللادينية إلى طيف أوسع من المواقف، على أسس الإلحاد بالله، والتفسيرات المادية، وانتشر انتشاراً لا سابق له في الجاهليات القديمة(٢).

ومع تفكك الإتحاد السوفيتي انكسرت شوكة الشيوعية نسبيًا وقويت بوادر العودة لمعاني الإيمان ولابد من سعي حثيث لاجتثاث جذوره واقتلاع أسبابه وهذا يتطلب معرفة الداء والدواء والاستعانة بخالق الأرض والسماء حتى نجنب البلاد والعباد شرور الإلحاد – دقها وجلها – وإلا كان الدمار في الدنيا ولَعَذاب الآخرة أشد.(٣)

إن من أنواع الإلحاد: هو الميل عن الحق والعدول عنه فيما يتعلق بأسماء الله تعالى أو بيته الحرام أو بآياته الكرام في دلالتها أو فيمن تنزلت عليه وبعض صوره أخطر وأشد من بعض فمنه ما ينافي الإيمان ويبطله ومنه ما ينافي كماله ويوهن عراه, وقد وردت الآيات بذم الإلحاد في الحرم ﴿ (4), والإلحاد هنا أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من قتل من لم يقتل وظلم من لم يظلم وقيل هو احتكار الطعام بمكة وقيل: معناه الشرك أو هو صيد حمامة وقطع شجرة ودخوله في غير إحرام.

وللإلحاد امتداد تاريخي متنوع السياقات، وله صور كثيرة متنوعة، غير أن أوسع معنى يعزى إليه، هو أنه إنكار للنصوص السائدة عن الله أو المعتقدات الدينية، فقد أطلقت كلمة "ملحد" على "اسبينوزا" لأنه ربط بين العلم والرب على نحو مخالف للفكرة الدينية اليونانية عن الآلهة.(١)

---

(٢) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة, عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق, الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م ص٤١١

(٣) التفسير الكبير: الرازى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(٤) سورة الحج: الاية ٢٥.

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م

ويهدف البحث في موضوع الإلحاد والخطر المحتمل الناجم عنه يمكن أن يتنوع وفقًا للأهداف البحثية المختلفة. لكن بشكل عام، يمكن تلخيص بعض الأهداف المحتملة للبحث في هذا الموضوع:

فهم الظاهرة: الإلحاد في العصر الحديث أصبح موضوعًا مثيرًا للجدل في كثير من المجتمعات. من خلال البحث، يمكن دراسة أسباب انتشاره وتطوره، وكيفية تأثيره على الأفراد والمجتمعات.

تحليل تأثيرات الإلحاد على القيم والأخلاق: يسعى بعض الباحثين لفهم كيف يؤثر الإلحاد على القيم الاجتماعية والأخلاقية، خاصة في المجتمعات التي لها تقاليد دينية عميقة, يمكن للبحث في هذا السياق أن يسلط الضوء على التحديات التي قد يواجهها المجتمع في الحفاظ على تماسكه وقيمه.

البحث في موضوع الإلحاد يواجه عدة تحديات ومشاكل قد تكون فكرية، اجتماعية، أو ثقافية, يمكن تلخيص أبرز هذه المشاكل في النقاط التالية:

١- التحديات الثقافية والدينية: في بعض المجتمعات، يُعتبر الإلحاد موضوعًا حساسًا ومثيرًا للجدل، خاصة في المجتمعات ذات التقاليد الدينية الراسخة, الباحثون الذين يتناولون هذا الموضوع وقد يواجهون معارضة شديدة من أفراد المجتمع أو المؤسسات الدينية التي قد ترفض وتعني بهذه الأفكار وتعتبرها تهديدًا للقيم الدينية, هذا قد يعرض الباحثين لضغوط اجتماعية أو حتى تهديدات.

٢- صعوبة الوصول إلى المعلومات: نظرًا لأن الإلحاد غالبًا ما يرتبط بعوامل شخصية وحساسة، قد يجد الباحث صعوبة في الحصول على معلومات دقيقة حول هذه الظاهرة, العديد من الأشخاص الذين يعتنقون الإلحاد قد يفضلون عدم التحدث علنًا عن معتقداتهم بسبب القلق من التمييز أو العواقب الاجتماعية.

٣- التعريفات الغامضة والمتنوعة: الإلحاد ليس مفهومًا موحدًا، بل يتباين بين الأفراد والمجتمعات, بعض الأشخاص قد يعرّفون الإلحاد ببساطة على أنه غياب الإيمان بالله، بينما آخرون قد يتبنون مواقف أكثر فلسفية أو علمية, هذا التنوع في تعريفات الإلحاد يمكن أن يعقد عملية البحث.

مـن الدراسـات السـابقة: الإلحـاد المعاصـر وعلاقتـه بالأديـان/ احمـد بـن سـعد ال بنـة الغامـدي/ دائـرة الدراسـات العليـا والبحـث العلمـي/ جامعـة تعـز/ مجلـة العلـوم التربويـة والدراسـات الإنسـانية/ المجلد (٦) العدد (١٥) مارس, ٢٠٢١م.

آثـار ونتـائج الانحرافـات الفكريـة الالحـاد نموذجـاً/ مـؤتمر الانحرافـات الفكريـة بـين حريـة التعبيـر ومحكمـات الشـريعة/ رابطـة العـالم الإسـلامي– المجمـع الفقهـي الإسـلامي/ المجلـد الثالـث/ العـدد (١٢).

ظـاهرة الإلحـاد– أسـبابها آثارهـا وسـبل الوقايـة منهـا, د.محمد عبـدالمنعم عبدالسـلام حسـن, جامعـة الملـك خالـد/ كليـة الشـريعة ,أصـول الـدين – قسـم الدراسـات الإسـلامية/ المجلـد الأول العـدد الخامس والثلاثون.

يعتمـد الباحـث فـي هـذه الورقـة البحثيـة علـى مـنهج الوصـف والتحليـل, الحـد الـذي يتيحـه حجـم البحـث, بغيـة توصـيف الآثـار النظريـة والعمليـة لظـاهرة الإلحـاد واللادينيـة فـي العصـر الحـديث فـي ظـل ربطهـا بمجتمعاتـه الغربيـة التـي تـأثرت بهـذا الفكـر علـى صـعيد المـنهج العلمـي والاعتقـادي أو علـى مسـتوى الممارسـة السياسـية والاجتماعيـة, حيـث تضـمن البحـث علـى مقدمـة واهميـة للبحـث والمشـكلات والمنهجيـة المتبعـة وكـذلك الدراسـات السـابقة وقـد قسـم الـى مبحثـين ومطالـب ايضـاً والـى الخاتمـة وأهـم النتـائج والتوصـيات وألـى المصـادر والمراجـع ومـن الله التوفيـق والسداد.

التمهيد: التعريف بالإلحاد

يُعرَّف الإلحاد في الأدبيات الفلسفية والفكرية بأنه موقف معرفي أو اعتقادي يقوم على نفي وجود إله أو آلهـة، أو رفـض الإيمـان بوجـود كيـان إلهـي ذي صـفات فـوق طبيعيـة, ويُعـدّ الإلحـاد مـن الناحيـة الاصطلاحية نقيضًا للإيمان الديني القائم على الإقرار بوجود خالق متعالٍ عن العالم.

ويميز الباحثون بين صور متعددة للإلحاد؛ فهناك الإلحاد الصريح (Positive/Strong Atheism) الذي يتبنى نفيًا مباشرًا لوجود الله، والإلحاد السلبي (Negative/Weak Atheism) الذي يقتصر على

غياب الإيمان دون تقديم دعوى نفي قطعية, كما يرتبط الإلحاد في بعض السياقات بالاتجاهات الطبيعية (Naturalism) أو المادية (Materialism) التي تفسر الوجود في إطار قوانين الطبيعة دون افتراض بعدٍ غيبي.

١ – **معنى الإلحاد في اللغة:** قال الخليل: "..والرجل يلتحد إلى الشيء: يلجأ إليه ويميل، يقال: ألحد إليه ولحد إليه بلسانه أي مال، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) [١] و {يَلْحَدون}, وألحد في الحرم، ولا يقال لحد إذا ترك القصد ومال إلى الظلم"[٢].

وقال الجوهري: "ألحد في دين الله، أي حاد عنه وعدل، ولحد لغة فيه. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) ﴾[٣]، والتحد مثله. وألحد الرجل أي ظلم في الحرم، وأصله من الحرمّ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) [١] "[٢].

وقال ابن فارس: "اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان" [٣]، واللحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت، لأنه قد أميل عن وسط إلى جانبه[٤].

---

(١) سورة النحل الاية ١٠٣.

(٢) العين ١٨٢/٣ – ١٨٣.

(٣) سورة النحل الاية ١٠٣.

(١) سورة الحج الاية ٢٥.

(٢) الصحاح ٥٣٤/٢، وانظر: العين١٨٢/٣ – ١٨٣، لسان العرب٣٨٨/٣ – ٣٨٩.

(٣) معجم مقايس اللغة ٢٣٦/٥.

٢ – **معنى الإلحاد في الشرع:** ورد لفظ الإلحاد في كتاب الله ، قال تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ}(٥) كما ورد الفعل منه في قوله تعالى : {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ}(٦), ومعنا لإلحاد هو الشرك والميل والتكذيب، يقول الطبري رحمه الله : "عن ابن عباس في قوله: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}(٧) قال: الإلحاد التكذيب، وقال آخرون: معنى ذلك يشركون"(٨).

ويذكر الطبري رحمه الله معنى الإلحاد فيقول: "الإلحاد في الدين وهو المعاندة بالعدول عنه والترك له"(٩).

وقال الراغب: "وألحد فلان مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: هو يوهن عراه ولا يبطله" (١), فلفظ الإلحاد يقتضى ميلاً عن شيء إلى شيء بباطل.

ومن أنواع الإلحاد:

- أن تسمى الأصنام بأسماء مختلفة، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم، وآلهتهم الباطلة.
- تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

---

(٤) لسان العرب ٣/٣٨٨ – ٣٨٩.

(٥)سورة الحج الاية ٢٥ .

(٦)سورة النحل الاية ١٠٣.

(٧)سورة الأعراف الاية ١٨٠.

(٨)تفسير الطبري ٩/١٣٤.

(٩) تفسير الطبري: المرجع السابق ١٥/٢٣٣

(١) المفردات ص٧٣٧.

- إسناد صفات الجلال والكمال إليه، مع نفي كل ما يتعارض مع قدسيته, كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه.
- تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.(٢)
- تشبيه صفاته بصفات خلقه – تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً , فهذا كله من الإلحاد في أسمائه سبحانه .

٣ – **الإلحاد المعاصر**: الإلحاد، وفق المفهوم المتداول حديثًا، هو موقف فكري يقوم على رفض الإيمان بوجود إله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة عليها، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة.(٣)

من هذا لم يكن الإلحاد في التاريخ الإنساني ظاهرة بارزة، ذات تجمع بشري، أو مذهباً مدعماً بمنظمات ودول، وإنما كان ظاهرة فردية شاذة، وربما اجتمع عليه فئات قليلة، وانتشر الإلحاد منذ القرن التاسع عشر، حيث صيغت العلوم الإنسانية، وجذور العلوم البحتة، على أسس الإلحاد بالله، والتفسيرات المادية، وانتشر انتشاراً لا سابق له في الجاهليات القديمة, إلا أنه في أواخر القرن العشرين، وبداية الحادي والعشرين، عمت موجة من التدين في الأوساط الغربية الملحدة، وشهد العالم سقوط الشيوعية، ثم بدأنا نشاهد عودة ما يسمى باليمين المسيحي المتطرف، كل ذلك بعد أن ذاقوا ويلات البعد عن الدين، والعيش في ظلمة الإلحاد إلا أن هذا لم يعني نهاية الإلحاد، بل قد بقي الإلحاد متغلغلاً في تلك الأوساط، مرتدياً عباءة العلم، والحضارة.(١)

(٢) بدائع الفوائد ١٦٩/١ – ١٧٠.

(٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٠٩.

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص٦٠٥، الموسوعة الفلسفية ص٤٢٦.

المبحث الأول: الإلحاد وأسباب انتشار الإلحاد واللادينية في العصر الحديث

المطلب الاول: التطورات العلمية والفلسفية:

التقدم العلمي على مر العصور كان له دور كبير في إعادة تشكيل مفاهيم الإنسان عن الدين والإله، حيث ساهمت الاكتشافات العلمية في تحدي بعض التصورات التقليدية حول الخلق والطبيعة البشرية ودور الإله في هذا السياق، لذا يمكن التركيز على ثلاث مجالات علمية رئيسية: نظرية التطور، والاكتشافات الفلكية، والفهم العلمي للطبيعة.

إن من أهم النظريات التي تطرح حالياُ هي التطور التي طرحها تشارلز داروين في القرن التاسع عشر قد أحدثت تغييرًا جذريًا في كيفية فهم الإنسان لأصله, والحقيقة أن نظرية داروين كانت أساساً للإلحاد في الدين[١]، والتي تقول إن الإنسان خُلق بشكل منفصل عن الكائنات الأخرى.

ومن ضمن التطورات العلمية الاكتشافات الفلكية، وخاصة تلك التي أجراها علماء مثل نيكولاس كوبرنيكوس (ت ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) أن الأرض كوكب متحرك، وقدم فكرة عن أنها تدور حول محورها كل ٢٤ ساعة، وتدور حول الشمس مرة كل عام.[٢]

تأثير الألحاد على الدين:

ومع تقدم العلم بدأ العديد من المفكرين في التشكيك في التفسير الديني التقليدي للوجود، واكتسبت الأفكار التي تفضل تفسيرات مادية وطبيعية للحياة والكون شعبية, في الوقت ذاته، البعض الآخر حاول التوفيق بين العلم والدين من خلال التأكيد على أن كل منهما يجيب على نوع مختلف من الأسئلة.

---

(٢) نديم الجسر: قصه الإيمان (ص: ٢١٧)

(١) الموسوعة العربية العالمية: أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية. عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . ١٦/ ٣٦٤.

ومن هذا جاء في وصف الإلحاد من أنه يستند إلى العلوم اليقينية القائمة على المشاهدة والتجربة، وأن ما عدا الإلحاد قائم على أساس الهوى والخيال، مدفوع بأن ليس في العلوم اليقينية القائمة على المشاهدة والتجربة, ما يصح أن يكون مستنداً للإلحاد، وليس فيها ما يعترض الدين في سبيل، فإن ادعى الإلحاد أنه يستند إلى العلوم اليقينية، فقد افترى على هذه العلوم كذباً[١].

تُظهر المراجعة التاريخية أن علماء المسلمين واجهوا الإلحاد أساسًا بالحجّة والردّ العلمي, وعند بروز نشاطات إلحادية علنية أو خفية، كان يُنظر إليها بوصفها تهديدًا للنظام القيمي والاجتماعي، مما دفع أولي الأمر إلى اتخاذ تدابير تهدف إلى الحدّ من انتشارها وصون الاستقرار الفكري للمجتمع.

وكذا من التطورات الحديثة هي الفلسفة العقلانية وهي تيار فكري يركز على أهمية العقل والتفكير المنطقي في فهم العالم واتخاذ القرارات, كما وتعتبر العقلانية من المفاهيم المركزية في الفلسفة الغربية منذ العصور القديمة، وقد ساهم العديد من الفلاسفة في تطوير هذه الفكرة عبر التاريخ, إن هذه الفكرة الرئيسية فيها هي أن العقل مُقدم على التجربة كمصدر للمعرفة، وأن الإدراك الحسي ينبغي إقامة البرهان على صحته بالمزيد من المبادئ, لقد حاول العقلانيون أن يحددوا طبيعة العالم والواقع، عن طريق الاستنتاج من مقدمات قد ثبت أنها هي في حد ذاتها يقينية من حيث المبدأ,[١] ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة الذين ساهموا في تعزيز الفكر العقلاني:

(٣) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين المؤلف: الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧ هـ), جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني, الناشر: دار النوادر، سوريا, الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ٢/٤-٢٢٢.

(١) الموسوعة العربية العالمية, ص٢٢.

رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠)[٢]

يعد ديكارت من أبرز الفلاسفة العقلانيين في العصور الحديثة، وهو الذي وضع أساس العقلانية الغربية المبتكرة من خلال فلسفته التي تركز على الشك المنهجي والتفكير العقلاني, ومن خلال عمله الشهير "تأملات في الفلسفة الأولى"، كما يلقب بأبي الفلسفة الحديثة المعاصرة، فإنه اعتقد أن الجسم الصنوبري هو الجهاز (الموصل) بين الروح والجسد، أو هو موضع التلاقي بين حركة الفكر وحركة الأعضاء وهو يأمن بأن الله موجود,[٣] طرح ديكارت مبدأ الشك المنهجي، حيث بدأ بالشك في جميع المعارف والأفكار التي لا يمكن أن تكون يقينية, ومن خلال هذا الشك، توصل إلى قاعدة أساسية تقول "أنا أفكر إذًا أنا موجود".

فريدريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠):[٤]

كان نيتشه من الفلاسفة الذين رفضوا الدين التقليدي بشدة وعارضة، ورأى أن الفكر العقلاني يجب أن يتجاوز الأساطير الدينية والمفاهيم الأخلاقية التقليدية في كتبه مثل "هكذا تكلم زرادشت" و"ما وراء الخير والشر"، لقد هاجم نيتشه الدين المسيحي وأكد على فكرة "موت الله"، أي أن الإيمان بالله أصبح غير ذي معنى في العصر الحديث بسبب تقدم العلم والعقلانية, لقد كان دور نيتشه في تعزيز الفكر العقلاني من الداعين إلى تحرير العقل من القيود التقليدية، بما في ذلك الدين والأخلاق التقليدية في نظره, بعد أن ألغى من فكره عقيدة الإيمان بالله، وحكمة الابتلاء في هذه الحياة، وأن وراء هذه الحياة حياة أخرى هي دار

---

(٢) هو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٥٦_١٦٥٠) عالم رياضي، ابتكر الهندسة التحليلية ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة، أقام فلسفته على الشك المنهجي. انظر كواشف زيوف لعبدالرحمن الميداني ص٣٦٥.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة , المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي, إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني, الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع, الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ, ٧٩٩/٢.

(٤) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص (٢٦٣).

الخلود، والجزاء والحساب، ها هو يعرب عن دخيلة نفسه، وما يعانيه من شقاء وعذاب، فيقول: إنني أعلم جيداً لماذا كان الإنسان هو الوحيد الذي يضحك؛ لأنه الذي يعاني أشد العناء؛ فاضطره ذلك أن يخترع الضحك.(١)

الفلسفة الحديثة:

لقد أخذت الفلسفة في العصور الوسطى المسيحية طابعاً دينياً ممزوجاً بالفكر اليوناني، وفي القرن السادس عشر استقلت العلوم الطبيعية بنفسها، ونتيجة لذلك ظهرت مدارس فلسفية قصرت مصدر المعرفة على المشاهدة والتجربة، ومن هذه المدارس(المدرسة التجريبية في الفلسفة على يد (لوك) وفي القرن السابع على يد (هيوم)).(٢)

اما الفلسفة الحديثة فقد بدأت على أيدي: (بيكون، وديكارت، وإسبينوزا), وأخص ما تتميز به هذه الفلسفة الحديثة هو تحرير التفكير الإنساني من كل سلطة, وفصل الفلسفة عن الدين أو العقل والعاطفة وتحديد سلطة كل منها, انتهت الفلسفة الحديثة في تناقضها وتهافتها إلى مذهبين رئيسيين متعارضين، التسليم بواحد منهما يقتضي التكذيب للمذهب الآخر، بل ينقضه من أساسه وهذان المذهبان هما:

المذهب الواقعي: وهو الفلسفة القائلة بوجود الأشياء الخارجية فقط، وأن لا شيء وراءها من عقل أو روح أو إله.

المذهب المثالي: الذي يقول بأن علة وجود الأشياء هو مجرد تفكيرنا في أنها موجودة، فإن لم يوجد الفكر فيها فلا وجود للأشياء.(٣)

تلك نبذة عن مراحل الفلسفة وعصورها بشيء من الاختصار، حيث يظهر الاتجاه المادي التجريبي البحت، والخيال المجنح لدى فلاسفة الغرب في تفسيراتهم دون قيود دينية تحكمهم وتوجههم، بل فصلوا الدين عن العلم، وتركوا تفسيراتهم تنصب على أمرين، هما: العقل بلا

(١) الكتاب: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب, المؤلف: محمد نصر الدين محمد عويضة, ٣٨٨/٤.

(٢) أصول التربية أحمد على الفنيش،، مرجع سابق، ص (١٧.١٦).

(٣) تهافت الفلاسفة السيد محمود أبو الفيض المنوفي، ص (١٩١-٢٩٥-٢٩٦) .

قيود والمادة بالتجربة, ولقد نتج عنها التفرقة والضلال لدى من اعتنقها من المسلمين، فجعلتهم أشتاتاً وأحزاباً، وتسبب ذلك في الضياع النفسي والديني لمن خاضها واعتنقها باعترافهم.[١]

المطلب الثاني: التجارب الدينية المتشددة والتسلط الديني:

الاستبداد الديني: وهو نوع من أنواع السلطة التي تمارسها السلطات الدينية أو مؤسسات دينية تسعى إلى فرض معتقداتها وممارساتها بشكل قسري على الأفراد، يمكن أن يكون له تأثير عميق على النفور من الأديان وتأثيره على التجارب الدينية القمعية أو المتشددة, كما تضافرت آراء أكثر العلماء النّاظرين في التّاريخ الطّبيعي للأديان، على أنَّ الاستبداد السّياسي مُتَوَلِّد من الاستبداد الدِّيني,[٢] ويمكن فهمه من خلال عدة جوانب:

١. تجارب القمع الديني:

لا تخلو الممارسة الدينية التاريخية والمعاصرة من حالات ووقائع جرى فيها قمع المخالف الديني بسيف القوة والسلطان، وهو ما تكاد تتشارك فيه غالب الاتجاهات الدينية المذهبية المختلفة بتجلياتها وتطبيقاتها البشرية إذ تجنح حال تمكنها بحبل من السلطات السياسية إلى قمع المخالف الديني وكبته والحجر عليه، بذريعة صيانة العقائد من التحريف والتبديل, الى ان وصل الاستبداد الديني قد أُجبار الناس على اتباع قواعد دينية صارمة دون قدرة على التعبير عن آرائهم الشخصية, هذا القمع قد يؤدي إلى فقدان الثقة في الدين نفسه ويجعل الأفراد ينفرون من المؤسسات الدينية.

---

(١) مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي (دراسة نقدية) المؤلف: خالد بن حامد الحازمي, الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الرابع والعشرون بعد المائة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م, ٣٢٧.

(٢) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (المتوفى: ١٣٢٠هـ)

الناشر: المطبعة العصرية – حلب, ص٢٧.

ومن الأمثلة على القمع الديني اللأويغور, حيث قالت منظمة هيومن رايتس ووتش ومنظمة هيومن رايتس في الصين، في تقريرها، أن الحكومة الصينية تقود حملة شاملة من القمع الديني ضد المسلمين (الأويغور الصينيين)، تحت ذريعة محاربة النزعة الانفصالية والإرهاب, ويستند التقرير الذي صدر بعنوان "ضربات مدمرة: القمع الديني للأويغور في شينجيانغ"، الذي جاء في ١١٤ صفحة، على وثائق حكومية وحزبية تم كشفها سابقاً، إضافة إلى القوانين المحلية وإحصاءات الصحف الرسمية والمقابلات التي تم إجراؤها في شينجيانغ, في الوقت الذي تحاصر السياسة الصينية والقانون الصيني المعمول به النشاط الديني والفكر حتى في المدرسة والبيت، تقول إحدى الوثائق الرسمية: "لا يجوز للأهل والأوصياء الشرعيين السماح للصغار بالمشاركة في النشاطات الدينية".[١]

٢. التشدد والتسلط الديني:

لقد جاءت شريعة الإسلام بالرفق والرحمة والهداية إلى الصراط المستقيم، وكان من أهم مقاصدها رفع المشقة والحرج عن الناس وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) [٢] وقال سبحانه وتعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾[٣]، ولهذا فإنَّ التشدد في الدين أمر مذموم, لأنه يتنافى مع مقاصد الشريعة السمحة ومع ما جاء في نصوصها الصريحة الدالة على أنَّ مدار التكليف هو التيسير والتخفيف والمقاربة قدر استطاعة المُكلَّف.

يقول الحافظ ابن حجر: وفي حديث محجن بن الأدرع عند أحمد: (إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الأَمْرَ بِالمُغَالَبَةِ) و(خَيْر دِينِكُمُ اليَسَرَة)، وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية؛

(١) أرشيف منتدى الألوكة – ٢تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م, هذا الجزء يضم: مجلس العقيدة والقضايا الفكرية المعاصرة, ٤١٤٦٧.

(٢) سورة الأنبياء – الآية ١٠٧.

(٣) سورة الأعراف – الاية ١٥٧.

فإنَّ الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطّع، كمَن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر[1].

وقد ذكر أهل العلم أمثلة للتشدد والتنطع، منها تكلف الشخص من العبادة ما لا يستطيع فيؤدي به ذلك إلى فوات الأفضل أو إلى السآمة فينقطع الشخص, وذلك كمن يتكلف في قيام الليل ويطيل فيه حتى يتعب من السهر، فتغلبه عيناه عن صلاة الفجر في الجماعة، أو عن أدائها في وقتها المختار أو الضروري, وبهذا ينعكس في بعض الحالات، في أجبار الناس على التظاهر بالإيمان أو قبول عقائد لا يؤمنون بها من أجل تجنب العقوبات أو الاضطهاد.

٣. النفور من الدين كآلية للتحرر:

إن النفور من الدين كآلية للتحرر هو مفهوم يرتبط بمسألة الصراع الداخلي والبحث عن الحرية الشخصية في مواجهة التقاليد والمعتقدات الدينية, لذى قد يرى بعض الأفراد في الابتعاد عن الدين وسيلة لتحرير أنفسهم من القيود التي يفرضها الدين على حياتهم الشخصية أو الاجتماعية من هذه الفكرة قد تكون مدفوعة بعدة عوامل، مثل:

أ- التحرر من القيود التقليدية: في بعض الحالات، يشعر الأفراد بأن الدين يفرض عليهم قواعد صارمة قد تحد من حرياتهم في التعبير عن أنفسهم أو في اتخاذ قرارات شخصية في مجالات مثل العلاقات أو الاختيارات المهنية أو حتى طرق التفكير.

ب- البحث عن الهوية الشخصية: قد يكون النفور من الدين رد فعل على ما يعتبره البعض فرضًا للهوية الدينية من قبل المجتمع. في مثل هذه الحالات، يرى الفرد نفسه بحاجة إلى تعريف هويته بشكل مستقل عن المفاهيم الدينية التي قد لا يتوافق معها.

ولو أردنا أن نحدد تلك الأحداث البارزة والمنحنيات الواضحة بالنسبة لسيطرة اليهود الحالية، فسنجد بادئ ذي بدء حالة النفور من الدين، التي أحدثها طغيان الكنيسة ورجال الدين (مع سد الطريق أمام

(١) فتح الباري (١/ ٩٤-٩٥، ط. دار المعرفة-بيروت).

التأثير الإسلامي الذي كان وشيكاً أن يُدْخِلَ أوربا في الإسلام)[١] ، وسنجد بعد ذلك أحداث الثورة الفرنسية، والثورة الصناعية، وما يمكن أن نطلق عليه الثورة الداروينية.

لقد استطاع أعداء الإسلام الوصول إلى عقولنا وأفكارنا، وأذواقنا ليغرسوا فيها الأفكار الدخيلة بأسم العلم، والتطور والتقدم، والمدنية، ولقد أعطيناهم قيادنا حين تركنا لهم قيادة التربية، فربوا الأجيال على النفور من الدين وحب الدنيا، والشغف بالمطامع والحرص على الدنيا إلى درجة العبادة، والإعجاب بالأعداء، وتقليدهم بطريقة مخيفة، حتى صار في أمتنا من يحمل أفكارهم وأضاليلهم، وعاداتهم، وأذواقهم، وبات هؤلاء يدافعون عنهم وينفّذون مايريدون.[٢]

المبحث الثاني: آثار الإلحاد واللادينية على الأفراد والمجتمعات وطرق علاجها.

لقد ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الإنسان وفي أخلاق الأمم ونظام الاجتماع فإن شبيبتنا الإسلامية باتت نهباً لدعوات الكفر والإلحاد والزندقة، وتحولنا من أمة غازية إلى أمة مقهورة مغزوة مغلوبة على أمرها بعد أن كنا نغزو العالم برسالة الله مخرجين الناس من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل، ومن الشرك إلى التوحيد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام إذا بنا نصبح أمة يتوطن الظلم والجهل في ربوعها، ويتفلت أبناؤها من دينهم وتراثهم، ويلعنون ما مضى من أسلافهم وينتقلون إلى عقائد الكفر والإلحاد والوثنية.[٣]

إن هذا الموجة العاتية من الإلحاد ، التي تسود أوربا، شرقها وغربها، وتنتقل بالعدوى إلى بقية أرجاء الأرض، قد خلّفت من الفساد في الحياة البشرية ما لا مثيل له من قبل, لأن العالم

(١) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر- المؤلف: محمد قطب- الناشر: مكتبة السنة/الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م, ص٨٠.

(٢) مجلة البيان (٢٣٨ عددا) المؤلف: تصدر عن المنتدى الإسلامي- ٨٢/٨٤.

(٣) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩, جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود, ١٤٨/٤٥.

اليوم قد تداخلت قضاياه وتشابكت، وصار ما يحدث في أي جزء منه يؤثر بالضرورة في بقية الأجزاء، فكيف إذا كان الأمر بهذه الخطورة وعلى هذه الدرجة من التأثير.[١]

إن الإلحاد الذي وصل الى المجتمعات وخصوصاً الإسلامية ظهرت بوادرها بين الشعوب كما قال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).[٢]

المطلب الأول: الآثار النفسية والاجتماعية على الأفراد:

ان الإلحاد واللادينية يمكن أن يؤديان إلى تغييرات كبيرة في الهوية الشخصية للأفراد، وهذه التغييرات تتجلى في طريقة إدراكهم لأنفسهم وعلاقاتهم الاجتماعية, وهكذا استطاع الإلحاد والبعد عن الله سبحانه وتعالى أن يحول المجتمع الديني والانساني إلى مجتمع بغيض يقوم على مبدأ الظلم والقهر والنهب والخوف الدائم من الدمار والخراب وهذا بدوره يؤدي إلى تدمير نفسة الإنسان المعاصر وهروبه الدائم من واقعه الذي يعيشه, ولذلك انتشرت المخدرات والمهدئات والإغراق الجنسي وزاد على ذلك توجيه مواقع التواصل على الافراد من تدمير للمجتمع والأسر والافراد، وكذلك دفعت هذه السياسات العالمية الفرد إلى مزيد من الأنانية وحب الذات والحرص على المال بكل سبيل وطلب النجاة لنفسه فحسب، والعيش ليومه فقط وهكذا خلق الإلحاد الدوامة المعاصرة التي تلف الإنسان في عصره الراهن عصر القلق والأنانية والإجرام والفوضى.

كان للإلحاد آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان فالبعد عن الله سبحانه وتعالى لم يكن من آثار تدميره النفسية البشرية فقط وإنما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الانساني وتفكيكه, وذلك أن نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحاً سليماً إلا إذا كانت اللبنات التي

(١) :رَكائزُ الإيمانِ تأليف : العلامة محمد قطب, حققه وخرج أحاديثه ونسقه : علي بن نايف الشحود, الباحث في القرآن والسنة, الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م, ص١٥٣.

(٢) سورة الروم: الآية ٤١.

تشكل هذا النظام صالحة سليمة، وإذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعاً لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج الإلحاد أيضا هدم النظام الأسري.(١)

ومن آثار الإلحاد السيئة، وثمراته المنتنة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات, فالأمم الغير اسلامية تعيش حياة صعبة معقدة لا يجدون حلاً لأكثر مشكلاتهم, نظراً لغياب المنهج الصحيح وهو دين الإسلام، فهم يعاقبون في هذه الدنيا أشد أنواع العقوبات، وإن ماتوا على كفرهم وإلحادهم فالخلود في النار بانتظارهم.(٢)

ويمكن أن نجمل أهم الأسباب في انتشار الإلحاد:

١_ القلق والاضطراب: إن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد, هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي, وذلك أن داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه، وأسئلة تتلجلج في صدره: لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وإذا كانت زحمة الحياة، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحياناً عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون فإن الإنسان يصطدم كثيراً بمواقف وهزات تحمله حملاً على التفكير في هذا السؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبة، والمصائب التي تصيب الإنسان ولا بد تفرض على الإنسان أن يفكر في مصيره ومستقبله، ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية لأنه يقوم على افتراض عدم وجود إله, فإنه لا يقدم شيئاً يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيراً للإنسان ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوساً يخيم على النفس ويظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً, ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد تلك الأسئلة الخالدة في النفس يظل الإنسان قلقاً معذباً (٣), فالملاحدة محرومون من طمأنينة القلب، ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) (2)

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ : علي بن نايف الشحود, ص١٦٠.

(٢) كواشف زيوف للشيخ عبد الرحمن الميداني ص٥٥٣ وما بعدها , والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وأسباب علاجها ص٢٠_٣٣، ورسائل الإصلاح ١/٢٢٠.

(٣) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ : علي بن نايف الشحود: ص١٥١.

(٢) سورة طه: الاية ١٢٤.

٢_ الأثـرة والأنانيـة: وأفضـت حالـة القلـق النفسـي واستشـعار الخـوف مـن المسـتقبل إلـى نـزوع الإنسـان نحـو النزعـة الفرديـة وتعزيـز السـلوك الأنـاني، ويُقصـد بالأنانيـة هنـا تغليـب المصـالح الخاصـة وتقـديمها علـى الاعتبـارات الجماعيـة, وعـدم التفكيـر فـي الآخـرين – فالـدين الـذي يحـث الإنسـان علـى بـذل المعـروف للغيـر والإحسـان للنـاس ابتغـاء مرضـاة الله, بانحسـاره عـن حيـاة الإنسان حل مكانـه التفكيـر فـي الـنفس فقـط وبـذلك بـدأ النـاس فـي عصـور الإلحـاد المظلمـة هـذه لا يـأبهون بغيـرهم مـن بنـي البشـر, وشـيئاً فشـيئاً قلـت العنايـة بـالفقراء والمحتـاجين ثـم بالأهـل والأقـربين ثـم بالوالـدين وأيضـاً بالزوجـة والأولاد والمطلـع علـى أحـوال المجتمـع الإلحـادي فـي الغـرب والشـرق يـرى إلـى أي حـد أصـبح النـاس مـاديين أنـانيين لا يهـتم الفـرد إلا فـي نفسـه، ولا يهـتم بـالآخرين إلا بقـدر مـا يعـود هـذا علـى نفسـه مـن منـافع, فـلا رحمـة، ولا شـفقة، ولا بـر بالوالـدين، ولا صـلة للأرحـام، ولا إحسـان إلـى الجيـران وسـائر النـاس, فكـل فـرد معنـي بنفسـه فحسب, فالإلحاد لا يعير هذه الروابط أدنى اهتمام.

٣_ حـب الجريمـة: ويـرى بعـض الاتجاهـات الفكريـة الناقـدة للإلحـاد أن غيـاب الإيمـان بمرجعيـة دينيـة عليـا قـد يـنعكس – فـي بعـض الحـالات – علـى البنيـة الأخلاقيـة للفـرد، إذ يُفتـرض أن الإيمـان يـؤدي دورًا فـي تنميـة الضـمير وتعزيـز الشـعور بالمسـؤولية والمسـاءلة. ومـن هـذا المنظـور، يُـذهب إلـى أن انتفـاء هـذا البعـد الإيمـاني قـد يضـعف الـوازع الـداخلي الضـابط للسـلوك، ويـؤثر فـي منظومـة القـيم التـي تحـثّ علـى العـدل والإحسـان والرحمـة, بـل علـى العكـس مـن ذلـك فـإن الإلحـاد يعلـم أتباعـه أنهـم وجـدوا هكـذا صـدفة ولـم يخلقهـم خـالق أو أنهـم خلقـوا أنفسـهم وأنهـم حيوانـات أرضـية كسـائر الحيوانـات التـي تـدب علـى الأرض وبـذلك يغلـظ إحساسـهم ويتنـامى شـعورهم بالحيوانيـة والانحطـاط ويتجهـون إلـى إثبـات ذواتهـم بـالإغراق فـي الشـهوات والملـذات، وقـد يبقـى فـي بعـض الأنفس التـي تـدين بالإلحـاد شـيء مـن نـداء الفطـرة ومحاسـبة الضـمير ولكـن هـذا النـداء الـداخلي المسـمى بالضـمير سـرعان مـا يـزول ويتلاشـى فـي زحمـة الحيـاة الراكضـة

وأمام مغرياتها الكثيرة, كما أن الثقة بين الناس في المجتمع الملحد شبه مفقودة؛ فكلٌ يخاف من أقرب الناس إليه.(١)

٤- تفتيت المجتمعات: الأسرة هي الخلية الأولى من البناء الاجتماعي وبفسادها لا شك يفسد النظام كله. لأن الأسرة هي المحضن الأول للإنسان وإذا فسد الإنسان فسدت اللبنات التي تكون هذا البناء ولا بد, ولما كانت الأسرة تقذف إلى المجتمع كل يوم بلبنات فاسدة, وتأتي هذه اللبنات الفاسدة وتأخذ مكانها في الهرم الاجتماعي الكبير فالفرد يكون مسئولاً في دائرة أو حاكماً أو طبيباً أو مهندساً أو مدرساً أو عاملاً, فكل فرد من أفراد المجتمع يتعامل مع المحيطين به بالأخلاق والسلوك الذي كسبه في حياته وخاصة في مراحل نشأته الأولى في أسرته, وهكذا تطفح الأنانية والفردية وغياب مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع المعاملات وأنماط السلوك التي يمارسها الفرد، إن الإنسان الذي لا يؤمن بوجود الله لا بد من أن تنحط معاييره وقيمه وهكذا تصبح العلاقات التي تحكم تصرفات الفرد في شكل هذا المجتمع علاقات المنافع المادية والمصالح الشخصية،(٢) وتختفي التضحية والفدائية والصبر والرغبة في إسعاد الآخرين ونفع الناس وهكذا تتحول الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة وجميع أجهزة الدولة إلى أن تصبح مطايا للمآرب الشخصية، وهكذا لا يزال الناس يكتشفون في كل يوم الفساد الإداري والوظيفي واستغلال النفوذ، وأخذ الرشوة والتحايل على القوانين والتلاعب بأموال الدولة وكذلك الظلم والقهر.(٣)

إن هذا الموجة العاتية من الإلحاد ، التي تسود أوربا ، شرقها وغربها ، وتنتقل بالعدوى إلى بقية أرجاء الأرض ، قد خلّفت من الفساد في الحياة البشرية ما لا مثيل له من قبل ؛ لأن العالم اليوم قد تداخلت قضاياه وتشابكت ، وصار ما يحدث في أي جزء منه يؤثر بالضرورة في بقية الأجزاء.(١)

---

(١) رسائل في الأديان والفرق: ص٢٩٧.

(٢) رَكائزُ الإيمانتأليف : العلامة محمد قطب, ص١٥٣.

(٣) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود, ص١٥٣.

(١) كائزُ الإيمانِ : العلامة محمد قطب: ص١٥٣.

المطلب الثاني: الطرق الموجبة لمواجهة اللحاد

إن محاربة الإلحاد لا يكفي فيها الوعظ والإرشاد واستعمال العبارات المسيلة للدموع، وإنما ينبغي أن يعيش المسلم لغة عصره وثقافته، فيتخذ من العلم سلاحا يتزود به في مواجهة الإلحاد المتفشي في بؤر كثيرة ومستنقعات عفنة لا سبيل إلى تطهيرها من هذا المرض إلا بسلاح العلم ولغته، والسبيل من هذا هو أن تشتمل مناهج الدراسة في مؤسساتنا على هذا الصرح العلمي, وأن يدرس الطلاب هذه العلوم بروح قرآنية تربط بين موضوعات هذه العلوم والغاية منها وأنها لم تخلق عبثا, وأن تربط بينها وبين خالقها من جانب آخر، حتى لا يقع الشباب في أودية الضلال(٢).

كما وتكون مواجهة الإلحاد وطرق الوقاية منه تعتبر من المواضيع التي تثير اهتمام العديد من الناس، خاصة في المجتمعات التي تشهد تحديات فكرية وثقافية, من المهم أن نتعامل مع هذه القضية بحساسية وعقلانية، لأن الإلحاد ليس فقط قضية دينية، بل هو أيضًا قضية ثقافية وفكرية واجتماعية, ومن هذا المنطلق يجب ان تكون هناك بعض المواجهات لتوقف وصد هذا الغزوا القادم الى شعوبنا والى مجتمعاتنا الإسلامية وسبل الوقاية منها من خلاق مواجهة الإلحاد والطرق الوقية منها:

١. التعليم والتوعية الدينية: إن التعليم الجيد للفهم الصحيح للمفاهيم الدينية يساعد على ترسيخ إيمان الشخص وتقويته، ويجعله قادرًا على مواجهة الأفكار التي قد تهز إيمانه, كما وأن التعليم والتوعية الدينية هما جزأين أساسيان في بناء الأفراد والمجتمعات بل يشمل التعليم الديني تدريس المبادئ الدينية والعقائد التي تساهم في فهم الفرد لدينه وتعاليمه بشكل أعمق

(٢) الوحي والإنسان – قراءة معرفية المؤلف: محمد السيد الجليند, الناشر: دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع (القاهرة) ص١٦٩.

كل هذا النوع من التعليم لا يقتصر على تعاليم الدين فقط، بل يشمل أيضًا فهم القيم والأخلاق التي يروج لها الدين وكيفية تطبيقها في الحياة اليومية.(١)

٢. تعزيز النقاشات الفكرية الصحيحة, في فتح المجال للنقاش مع الأشخاص المعنيين والمستهدفين, وكما يجب أن يكون من المهم أن يكون هناك حوار مفتوح حول القضايا الفكرية والدينية دون تسفيه أو إقصاء للآخر, وأن النقاش البناء يعزز قدرة الشخص على التمسك بمعتقداته والرد على الشبهات التي قد تطرأ على الواقع حيث الهجمة تتوجب النقاشات والحوارات وخصوصاً أن لإسلام اليوم في مواجهة الإلحاد يطابق إلى حدّ ما التحدي الذي واجهه عند بدء الرسالة في مواجهة الشرك.(٢)

إن النقاشات والدعوات الى فتح حوار مع الأشخاص والمجتمع لتنبههم على المخاطر التي تواجههم ويدخل هذا من تعزيز التفكير النقدي النقاشات الفكرية مما يدفع الأفراد إلى التفكير بشكل أعمق وتحليل الأفكار بشكل منطقي مع التشجيع على التفكير النقدي وتقييم الأدلة بدلاً من قبول المعلومات دون تمحيص, ويدخل في هذا توسيع الأفق الثقافي من خلال النقاشات التي يكتسب المشاركون رؤى مختلفة وأفكار جديدة، مما يساهم في توسيع الأفق الثقافي ويعزز الفهم المتبادل بين الناس من خلفيات مختلفة.

٣. الاهتمام بالمجتمع والأسرة: حيث ان للأسرة دور كبير تربية الأطفال, في بيئة تشجع على الإيمان وتشبعهم بالقيم الدينية من الطفولة, وقد يساهم بشكل كبير في منع الإلحاد وعدم الضياع لان الأسرة عمود المجتمع, وينبعث من الاسرة في حياة البشر حاجات عاطفية ودخائل نفسية تظهر الحاجة إليها دومًا في المجتمع والأسرة والبيت، ومن الأمور التي تقرب

(١) بحث الشيخ وحيد الدين خان صمن كتاب: وجوب تطبيق الشريعة والشبهات المثارة حول تطبيقها ص ٣٠١.

(٢) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية المؤلف: حسن بن محمد حسن الأسمري/ أصل الكتاب: رسالة علميَّة تقدَّم بها المؤلِّف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة–وطبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر– الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م, ٢/٨٩٠.

القلوب وتذيب إحن النفوس الهدية، عن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها)[1]

النتائج:

- أسهمت العولمة الرقمية والانفتاح المعرفي غير المنضبط في تسريع انتشار الأفكار اللادينية، خصوصًا بين فئة الشباب، عبر وسائل التواصل والمنصات المفتوحة.
- لعب ضعف الخطاب الديني التقليدي، وعجزه أحيانًا عن مواكبة الإشكالات الفكرية المعاصرة، دورًا ملحوظًا في اتساع الفجوة بين الدين والواقع المعاش.
- أدت بعض الممارسات الخاطئة باسم الدين، سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي، إلى تشويه صورته وربطه بالتشدد أو الجمود في أذهان بعض المتلقين.
- خلّفت ظاهرة الإلحاد واللادينية آثارًا متعددة، شملت البعد العقدي والأخلاقي والاجتماعي، وأسهمت في إضعاف منظومة القيم الدينية لدى بعض المجتمعات.
- لا يمكن التعامل مع هذه الظواهر من خلال المقاربة الأمنية أو الإقصائية فقط، بل تحتاج إلى معالجة علمية وفكرية وتربوية متوازنة.

المقترحات والتوصيات:

- ضرورة تجديد الخطاب الديني تجديدًا منهجيًا رصينًا، يجمع بين الثوابت الشرعية والفهم العميق لمتغيرات العصر.
- تعزيز دور المؤسسات التعليمية في بناء التفكير النقدي الواعي، وربطه بالإيمان القائم على الحجة والدليل لا على التلقين المجرد.
- الاهتمام بتأهيل الدعاة والباحثين في مجال مقارنة الأديان والفلسفات المعاصرة، لتمكينهم من مناقشة الإشكالات الإلحادية بلغة علمية هادئة.

---

(١) رواه البخاري

- توظيف الوسائط الرقمية الحديثة في تقديم المحتوى الديني والفكري بأسلوب جذاب يناسب عقلية الجيل المعاصر.
- تشجيع الحوار الفكري الرصين مع المخالفين، وترسيخ ثقافة الاحترام المتبادل دون التفريط بالثوابت العقدية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أرشيف منتدى الألوكة - ٢تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م.

٢- أصول التربية: د.أحمد على الفنيش- بيروت، [لبنان]: دار الكتاب الجديد المتحدة- ط٢.

٣- بدائع الفوائد: المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤- تهافت الفلاسفة السيد محمود أبو الفيض المنوفي: دار الكتاب العربي; بيروت; ١٩٦٧.

٥- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، ١٤٢ هـ - ٢٠٠٠ م تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

٦- رسائل في الأديان والفرق والمذاهب: محمد بن إبراهيم الحمد- دار النشر: دار ابن خزيمة ١٤٢٧-٢٠٠٦.

٧- رَكائزُ الإيمانِ تأليف : العلامة محمد قطب, حققه وخرج أحاديثه ونسقه : علي بن نايف الشحود, الباحث في القرآن والسنة, الطبعة الأولـ ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٨- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر- المؤلف: محمد قطب- الناشر: مكتبة السنة/الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٩- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (المتوفى: ١٣٢٠هـ)الناشر: المطبعة العصرية - حلب.

١٠- العمدة من الفوائد والأثار الصحاح والغرائب في مشيخة شهدة: المؤلف: شُهْدة بِنْت أحمد بْن الفرج بْن عُمَر الإبري فخر النساء بِنْت أَبِي نصر الدينوري الأصل البغدادي الكاتبة (المتوفى: ٥٧٤هـ)تحقيق: فوزي عبد المطلب- الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١١- عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International.

١٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري- المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

١٣- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب, المؤلف: محمد نصر الدين محمد عويضة.

١٤- قصه الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن: نديم الجسر- مكتب الطابع الإسلامي بيروت.

١٥- كتاب العين: المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٦- كواشف زيوف لعبدالرحمن الميداني هو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٥٦_١٦٥٠) عالم رياضي، ابتكر الهندسة التحليلية ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة، أقام فلسفته على الشك المنهجي.

١٧- لسان العرب المؤلف : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت- الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٨- مجلة البيان (٢٣٨ عددا) المؤلف: تصدر عن المنتدى الإسلامي- ٨٢/٨٤.

١٩- مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي (دراسة نقدية) المؤلف: خالد بن حامد الحازمي, الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الرابع والعشرون بعد المائة، ١٤٢٤هـ.

٢٠- معجم مقاييس اللغة المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- المحقق : عبد السلام محمد هارون, الناشر : دار الفكر, الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١- مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢٢- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين المؤلف: الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧ هـ), جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني, الناشر: دار النوادر، سوريا, الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢٣- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩, جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود.

٢٤- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود.

٢٥- الموسوعة العربية العالمية: أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.
٢٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة , المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي, إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني, الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع, الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.
٢٧- النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية المؤلف: حسن بن محمد حسن الأسمري/ أصل الكتاب: رسالة علميَّة تقدَّم بها المؤلِّف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة-وطبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر- الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٢٨- نهاية التاريخ وخاتم البشر فرانسيس فوكوياما- ترجمة حسين أحمد أمين- مركز الاهرام للترجمة والنشر, ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٩- وجوب تطبيق الشريعة والشبهات المثارة حول تطبيقها بحث الشيخ وحيد الدين خان ضمن كتاب.
٣٠- الوحي والإنسان - قراءة معرفية المؤلف: محمد السيد الجليند, الناشر: دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع (القاهرة).